تغاير الصّوامت في اختيارات أبي القاسم الهذلي البسكري من القراءات الشاذة

– دراســة صوتيــة –

د.عبد الوهاب شيباني

جامعة الإخوة منتوري قسنطينة

الملخّص :

يؤدي التغاير الصّوتي (contraste) في القراءات على مستوى الحرف الصّامت إلى تغيّر المعنى من قراءة إلى أخرى، مع ملاحظة أنّ هذا الاختلاف في المعنى ليس اختلاف تناقض أو تغاير في دلالة المفردة، وإنّما هو اختلاف تنوّع في الفهم أو المعنى، بما يزيد من وضوح المراد، ويكون شاهدًا على تقارب المعاني وتداخل استعمالاتها إذا تقاربت مادة حروفه، ولنا في هذا المقال، الموسوم بـ (تغاير الصّوامت في اختيارات أبي القاسم الهذلي البسكري من القراءات الشاذة، دراسة صوتية)، أمثلة كثيرة ممّا اختاره الهذلي من القراءات الشّاذة ذات التغاير الحرفيّ، أي من جهة الصّوامت (consonnes)، حيث تُفسّر ظواهر التغاير، في الغالب الأعمّ، وتُرّد إلى اختلاف اللّهجات العربية المتعدّدة التي نزل القرآن الكريم بها.

Abstract

Phonetic Contrast in Consonant Clusters in the Extra-Canonical Readings of the Holy Coran Selected by Al-Houdhali

The phonetic contrast between two consonants in extra-canonical readings of the Holy Coran raises a number of questions about the semantic changes of consonant clusters in various words and various readings of the Holy Coran. While the semantic changes may be important for the consonant clusters, the meanings of the words containing them do not deviate considerably from the ultimate objective of the Holy Coran. This article highlights the phonetic peculiarities of readings of the Holy Coran, focusing, for lack of space, only on consonants, and studying the role of consonants in the expected lexical acquisition.

مقـــدمـة:

لم يقتصر أبو القاسم الهذلي (ت 465 هـ) في كتابه " الكامـل في القـراءات العشر والأربعين الزّائدة عليها " على إيراد القراءات وأسـماء عـدد كبـير مـن القـراء وذكـر أسانيدهم، بل تعدّى ذلك إلى اختيار عدد هائل من القراءات، من المتواتر والشّاذ على حدّ سواء.

ومن ذلك الزّخم الكبير مـن اختياراتـه مـن القـراءات الشّـاذة ارتأيـت أن أتنـاول المستوى الصّوتي من فروع علم اللغة ليكون محورًا لهذه الدّراسة الموجزة.

لقد اشتملت اختيارات الهذلي، من القراءات الشّاذة ذات الصّلة بالجانب الصّوتي في كتابه " الكامل في القراءات العشر والأربعين الزّائدة عليها "، على عيّنة مـن الألفـاظ التي اختلفت ظواهرها الصّوتية كالإدغام والإبدال والهمز والاخـتلاس... إلاّ أنّنـي ارتأيت، في هذا البحث، أن أتناول بالدّراسة، بعيدًا عـن المحـاور المـذكورة، تغـيّراتِ عدد من الحروف المكوّنة للألفاظ ضمن ما يسمّى بــ " التغاير في الصّوامت [1]".

نبذة وجيزة عن حياة الهذلي:

اسمه ومولده: هو أبو القاسم يوسف بن عليّ بن جبارة بن محمـد بـن عقيـل الهـذلي المغربي[2]، البسكري نسبة إلى بسكره من إقليم الزاب الصـغير(بليـدة بـالمغرب) [3]، الضرير المقرئ النحوي، كان عالما بالقراءات والعربية، قيل ولد سنة ثلاث وأربعمائـة

(1) ينظر الظواهر الصّوتية والصّرفية والنّحوية في قراءة الجحدري: د. عادل هادي حمادي العبيدي، مكتبة الثقافة الدينية، ط 1، 2005: ص 29.

(2) في " تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير الأعلام: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق عمر عبد السّلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط 1، 1414 هـ - 1994 م: 31/ 191: " أبو الحجاج الهذلي المغربي ".

(3) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير: 30/ 513.

403 هـ [1]، وقيل سنة 395 هـ[2]، ورحل من أقصىٰ المغرب إلىٰ بلاد الترك... وقرأ علىٰ أيدي كبار العلماء كأبي القاسم الزيدي صاحب النقاش، والأهوازي بدمشق، واسماعيل الحدّاد بمصر، والحسن المالكي صاحب الرّوضة، وأبي العلاء الواسطي، وغيرهم. وعدّتهم مائة واثنان وعشرون شيخًا[3]. وذكر ابن الجزري في " غاية النهاية " أنّه لقيَ ثلاثمائة وخمسة وستين شيخًا من آخر المغرب إلىٰ باب فرغانة [بتركيا]، ولو علم أحدًا تقدّم عليه في هذه الطبقة في جميع بلاد الإسلام لقصده[4].

مؤلفاته: ترك الهذلي ثلاثة مؤلفات جليلة ذكرها في مقدمة كتابه الكامل في القراءات وهي[5]:

1- الوجيز في القراءات 2 - الهادي في القراءات

(1) معجم الأدباء-: إرشاد الأريب إلىٰ معرفة الأديب - ياقوت الحموي الرّومي، تحقيق إحسان عبّاس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط 1، 1993: ص 2849 رقم (1260).

(2) ينظر لسان الميزان: الحافظ أحمد بن عليّ بن حجر، اعتنىٰ بالكتاب عبد الرحمن بن غدّة، مكتبة المطبوعات الإسلامية، بيروت، لبنان، 1423 هـ - 2002 م: ترجمة رقم 8699: 8/ 561 [في سنة ميلاده فراغ]، وفي غاية النهاية في طبقات القرّاء: شمس الدين أبو الخير محمّد بن محمّد ابن محمّد بن عليّ بن الجزري، عني بنشره: ج. برجستراسر. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1 – 1427 هـ - 2006م، رقم الترجمة 3929: 2/ 345: " ولد في حدود التسعين وثلاثمائة تخمينًا 390 هـ". وهو كما صرّح به [يشكري]. ولعلّه تصحيف، وقوله: " الأستاذ الكبير الرحّال والعلم الكبير الجوّال" يعضد قول من قال بمغربيته وانتمائه إلىٰ أهل المغرب، كما ظنّ أيضًا أنّه بكري، وفي هذا أيضًا تصحيف، واللفظان قريبان من " بسكري ".

(3) معرفة القراء الكبار علىٰ الطبقات والأعصار: شمس الدين أبو عبد الله محمّد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق أبي عبد الله محمّد حسن محمّد حسن إسماعيل الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط،1417 هـ - 1997م: 239 وما بعدها. وينظر: غاية النهاية في طبقات القراء: 2/ 345.

(4) غاية النهاية في طبقات القراء: 2/ 345.

(5) الكامل في القراءات العشر والأربعين الزّائدة عليها: ص 5، وغاية النهاية في طبقات القراء:2/ 345.

3- الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها[1]: وهو أجل كتبه، ويسمى بـ:

- الكامل في القراءات وهو ما يذكره المؤلف نفسه في بداية كل جزء[2].
- الكامل في القراءات المشهورة والشواذ.
- الكامل في القراءات الخمسين[3].
- الكامل المحكم على كتاب أهل العصر في القراءات[4].

جمع في هذا الكتاب القراءات العشر المشهورة والأربعين الزائدة عليها، من خمسين رواية وأكثر من ألف طريق، بالإضافة الى باب واسع في الأسانيد، كما أشتمل على أسماء عدد كبير من القراء لا ذكر لهم في غيره[5].

وفاته: لقد أضرت به كثرة القراءة والمطالعة فعمي في كبره، وتوفي بنيسابور ببلاد فارس، سنة خمس وستين وأربع مائة 465 هـ غريبا عن بلده[6].

---

(1) ينظر النشر في القراءات العشر: شمس الدين أبو الخير محمّد بن محمّد بن محمّد بن عليّ بن الجزري، مراجعة عليّ محمد الضبّاع، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، دت: 1/ 91.

(2) من ذلك مثلاً ما ورد عند ذكره الجزء الثاني، حيث جاء على هذا النحو: [الجزء الثاني من كتاب الكامل، ينظر: ص 47]. وينظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير: 31/ 191.

(3) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: حاجي خليفة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، دط، دت: 2/ 1381.

(4) مشيخة الإمام سراج الدين عمر بن عليّ القزويتي، تحقيق عامر حسن صبري، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان، 1426 هـ - 2005 م: ص 123 – 125.

(5) في " غاية النهاية في طبقات القراء ": 2/ 345 وما بعدها: " وجمع فيه خمسين قراءة عن الأئمة وألف وأربعمائة وتسعة وخمسين رواية وطريقًا".

(6) غاية النهاية في طبقات القراء: 2/ 348، والنشر في القراءات العشر: 1/ 91، ومعجم حفاظ القرآن عبر التّاريخ: محمد سالم = = محسن، دار الجيل، بيروت، ط1، 1412 هـ - 1992م: 2 /

تعريف الاختيار[1]:

الاختيار لغة: لفظ مشتق من مادة (خ ي ر) ، وهو يستعمل للدلالة على الاصطفاء والانتقاء والتفضيل[2].

وفي **الاصطلاح**: هو الصورة أو الوجه الذي يختاره القارئ من بين مروياته، أو الراوي من بين مسموعاته، أو الآخذ عن الرّاوي من بين محفوظاته، وكلّ واحد منهم مجتهد في اختياره.

ويعرّفه عبد الهادي الفضلي بأنّه: «الحرف الذي يختاره القارئ من بين مروياته مجتهدًا في اختياراته »[3].

وهو عند السيّد رزق الطّويل: « إسناد كل حرف من حروف القراءة إلى صاحبه من الصحابة فمن بعدهم، يعني* أنّه كان أضبط لهذا الحرف وأكثر قراءة وإقراء به، وملازمة له وميلاً إليه[4]».

وحقيقة الاختيار أنّ القرّاء أو الرّواة أو الآخذين عنهم كانوا يختارون من مجموع مروياتهم التي سمعوها.

ويلخص عبد الفتّاح اسماعيل شلبي شروط الاختيار بقوله: « الاختيار الصحيح في القراءة مفيد بأن يكون المختار من أهله، ووافق فيه اللّفظ والحكاية طريق النّقل

134، 135، ومعرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار: ص 242.

(1) لم أتمكن من الحصول على نسخة من كتاب " الاختيار في القراءات القرآنية وموقف الهذلي: د.نصر سعيد، دار الصحابة للتراث بطنطا.

(2) لسان العرب: مادة (خ ي ر)، 4/ 265، 266.

(3) القراءات القرآنية، تاريخ وتعريف، عبد الهادي الفضلي ،دار المجتمع العلمي بجدة، د ط، 1399هـ - 1979: ص 119.

* هكذا هي في النصّ.

(4) في علوم القراءات: السيّد رزق الطّويل، مدخل ودراسة وتحقيق، المكتبة الفيصلية، مكة المكرّمة: ص 55.

والرّواية، ورسم المصحف الإمام، وهو مردود إذا فقد شرطًا من هذه الشّروط، والله أعلم[1]».

- **معايير اختيارات الهذلي:**

لا ينبغي أن نغفل تصريح صاحب " غاية النهاية في طبقات القرّاء " بعدد قراءات الهذلي ورواياته: حيث جمع فيه خمسين قراءة عن الأئمة وألفا وأربعمائة وتسعة وخمسين رواية وطريقًا[2]. ولا غرابة إذا وجدناه – أي الهذلي يصرّح به بنفسه قائلاً: « هذا ما انتهى إلينا من السّبعة ورجالها الاختيارات التي اختارها علماء الأمصار ثمّ اتبعت إثرهم فاخترت اختيارًا وافقت عليه السّلف بعد نظري في العربية، والفقه والكلام، والقراءات، والتفاسير، والسّنن، والمعاني...[3]».

و **معايير اختياراته** هي:

1 – اتفاق أكثر القرّاء وشهرة القراءة أو موافقة السّبعة أو اتباع الأكثر.

2 – موافقة القراءة لأفصح اللغات أو أحسن اللغات أو توافق لهجة قريش.

3 – موافقة القراءة للمصحف العثماني أو مصحف الحجاز أو مصحف المدينة أو لوجوده في المصحف القديم.

4 – استحسان القراءات لغويًا، أو لأنّه أحسن في اللّغة، أو لأنّه أجزل في اللفظ.

5 – موافقة القراءة للمعنى والحديث أو للقصّة.

6 – كثرة دوران القراءة في القرآن وفي هذه الاختيارات قد يوافق غيره أو ينفرد بها.

والذي اختاره الهذلي غالبه من القراءات المتواترة سواء أكانت في السبعة أو العشرة والقليل جدًّا من اختياراته من الشاذّ على اصطلاح الأئمّة: أبي عمرو الدّاني (ت

(1) رسم المصحف العثماني وأوهام المستشرقين في قراءات القرآن الكريم، دوافعها ودفعها: عبد الفتّاح إسماعيل شلبي، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط 4، 1419 هـ – 1999 م: ص 83.

(2) غاية النهاية في طبقات القراء: 2/ 345.

(3) الكامل في القراءات العشر والأربعين الزّائدة عليها: ص 9.

444 هـ) والشاطبي (ت 591 هـ) وابن الجزري (ت 833 هـ)، بلغت نسبة اختيار الشاذّ أربعة بالمائة (4٪) بالنسبة لاختياره للمتواتر[1].

ومن وقوفنا على القراءات التي جمعها أبو القاسم الهذلي في كتابه " الكامل في القراءات العشر والأربعين الزّائدة عليها " تمكّنا من رصد مجموعة يسيرة من الألفاظ التي غاير فيها بين الصّوامت، ومجموعة أخرى وقعت فيها المغايرة بين الصّوائت، إلّا أنّنا في هذا العرض السّريع نجتزئ بدراسة التغاير في الصّوامت. وهذا على الشّكل الآتي:

1 – التغاير بين الزّاي والرّاء في " ننشزها " و" ننشرها ":

الرّاء والزّاي من الأصوات المتقاربة المخارج، فهما ضمن مجموعة أصوات تشتركان في كون مخرجيهما يكادان ينحصران بين أول اللسان، بما فيه طرفه، والثنايا العليا، بما فيها أصولها[2]. وهما على هذا التقارب لم يحصل بينهما من الإبدال ما يستدعي ذكره من قبل علماء اللغة[3] باستثناء ما ورد من قوله تعالى: (... **قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آَيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا** ...) [البقرة: 259].

وصوت الرّاء العربية لثوي، ومجهور، ومكرّر، ومتوسط بين الشدة والرّخاوة، وقد عدّه سيبويه (ت 180 هـ) شديدًا[4]، والتكرير كما سبق – صفة ذاتية في الرّاء، أي أنّها لا تكون فصيحة بدونه، ولكن المبالغة فيه مستقبحة. ويعود تكراره لأنّ التقاء طرف اللسان بحافة الحنك مما يلي الثنايا العليا يتكرر في النطق بها، كأنما يطرق طرف

(1) الكامل في القراءات العشر والأربعين الزّائدة عليها: ص 9.

(2) ينظر الأصوات اللغوية: إبراهيم أنيس، مكتبة نهضة مصر، دت: ص 46.

(3) أثر الإبدال الصّوتي وتغيّر الضّبط الحركي في تنوّع المعنى – القراءات القرآنية مثالاً – محمود حمود عراك القريشي، مجلّة كلّية التربية، جامعة واسط، العدد الحادي عشر: ص 67 وما بعدها.

(4) الكتاب: 4/ 433.

اللسان حافة الحنك طرقًا لينًا يسيرًا مرتين أو ثلاثا لتتكون الراء العربية[1].

بينما صوت الزّاي العربية لثوي كذلك، ورخو، واحتكاكي، ومرقّق، ومجهور يناظر صوت السين، المهموس، يصفه القدماء إلى جانب الرخاوة بالصفير[2].

فهل لهذا التقارب بين الحرفين أثر في ورود الآية السّابقة في قراءة بالرّاء وفي أخرى بالزّاي؟ وما سبب اختيار الهذلي لإحداهما وترك الأخرى؟

جاء في الكامل للهذلي: « " نَنْشُزُهَا " بفتح النون وضمّ الشين والزّاي الحسن، وأبو حيوة، والزعفراني، والمفضّل، وأبان، وهو الاختيار لقوله: " ثمّ نكسوها لحمًا "[3]».

وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو: " نُنْشِرُها "[4]، بضم النون الأولى وبالراء المهملة.

وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي: " نُنشِزُها " بالزاي[5].

وروى أبان عن عاصم " نَنشُرُها " بفتح النون الأولى وضمّ الشين وبالرّاء وقرأها كذلك ابن عباس والحسن وأبو حيوة[6].

---

(1) ينظر: الأصوات اللغوية: إبراهيم أنيس: ص 57، 58.

(2) ينظر: الأصوات اللغوية: ص 68. وعلم الأصوات لبرتيل مالمبرج: ترجمة عبد الصّبور شاهين، مكتبة الشباب، القاهرة، دط، 1988: ص 109- 126.

(3) الكامل في القراءات العشر والأربعين الزّائدة عليها: ص 509، و المحرر الوجيز: 1/ 350، 351. والبحر المحيط: 2/ 637. ومفاتيح الغيب:7/ 36.

(4) نسب الفراء هذه القراءة إلى ابن عباس. ينظر معاني القرآن : 1/ 173، ونسبها أبو علي الفارسي إلى ابن كثير ونافع وأبي عمرو. ينظر الحجة للقراء السبعة: 2 / 379 – 382. وحجة القراءات: ص 144.

(5) النشر في القراءات العشر: 2/ 231، والتبيان في إعراب القرآن: 1/ 210.

(6) مختصر في شواذ القرآن: ص 16، ونسبها الفراء إلى الحسن: ينظر معاني القرآن : 1 / 173 وقال أبو علي الفارسي: روى عبد الوهاب عن أبان عن عاصم " .كيف نَنشرها " بفتح النون الأولى وضم الشين وبالراء مثل قراءة الحسن. ينظر الحجة للقراء السبعة: 2 / 379 – 382.

فمن قرأها نُنشرُها بضم النون الأولى وبالراء فمعناه نحييها، يقال أنشر الله الموتى فنشروا، قال الله تعالى: (**ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ**) [عبس: 22].

وقراءة عاصم " نَنشُرُها " بفتح النون الأولى يحتمل أن تكون لغة في الإحياء يقال نشرت الميت وأنشرته فيجيء نشر الميت ونشرته كما يقال حسرت الدابة وحسرتها وغاض الماء وغضته ورجع زيد ورجعته.

وأما من قرأ " نُنشزُها " بالزاي فمعناه: نحركها، أو نرفع بعضها إلى بعض للتركيب للإحياء، يقال: نشز وأنشزته. والنشز المرتفع من الأرض، ويعبّر عن الإحياء بالنّشز والإنشاز لكونه ارتفاعًا بعد اتّضاع[1].

ومنه قيل: قد نَشَز الغلام " إذا ارتفع طوله وشبّ[2]. ونَشَز الرجل ينشزِ إذا كان قاعدا فقام، وعرق ناشِز مرتَفع منتَبِر ناشِز لا يزل يضرِب من داءٍ أو غيره، ونشزت المرأة بزوجها وعلى زوجها تنْشِز وَتنْشز نُشُوزا، وهي ناشز :ارَتفَعت عليه وأنشز الشيء: رفعه عن مكانه. وإنشاز عظام الميت :رفعها إلى مواضعها وتركيب بعضها على بعض [3]. قال الفراء (ت 207 هـ) في تفسير قوله تعالى: " نُنشزها ": « والإنشاز نقلها إلى موضعها [4]». وقال أبو جعفر ابن جرير الطبري (ت 310 هـ): » معناه:

ونسبها أبو حيان إلى ابن عباس والحسن وأبو حيوة وأبان عن عاصم.

وانظر مجمع البيان: 3/ 315.

(1) المفردات في غريب القرآن: ص 493. + عمدة الحفاظ: 4/ 177 - 179.

(2) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط 1، 1422 هـ - 2001 م: 4/ 617 وما بعدها.

(3) لسان العرب: 5/ 207، 208.

(4) ينظر معاني القرآن : 1/ 173.

كيف نرفعها من أماكنها من الأرض، فنردها إلى أماكنها من الجسد[1]«. والمراد: نجعلها بعد بِلاها وهجودها ناشزة ينشز بعضها إلى بعض، أي يرتفع [2]. ولقد قال أبو عليّ الفارسي (ت 377 هـ) أيضًا: « نرفع بعضها إلى بعض للإحياء [3]«. ونقل أبو حيان الأندلسيّ (ت 745 هـ) أن معناه: نُنبتها، حيث جاء متّسقا مع استعمال العرب، من ذلك قوله نشز ناب البعير والنشز من الأرض على التشبيه بذلك، ونشزت المرأة كأنّها فارقت الحال التي ينبغي أن تكون عليها، وقوله تعالى :(وإذا قيل انشزوا فانشزوا) [المجادلة: 11] أي ارتفعوا شيئا فشيئا كنشوز الناب فبذلك تكون التوسعة فكأن النشوز ضرب من الارتفاع [4] أمّا قراءة الإبدال "نُنشِرها " و" نَنشُرها " فأصل النشور: الحياة بعد الموت، يقال :نَشَر الله الميت ينُشُره نَشْرا ونُشورا وأنشَره فَنَشَر الميت لا غير: أحياه [5].

قال أبوعليّ الفارسي: « فتقديره ننشزها برفع بعضها إلى بعض للإحياء ومنه نشوز المرأة يقال نشز وأنشزته[6]».

وتوصّل إلى أنّ النّشر والحياةَ والبعثَ والإرسال تقاربٌ في هذا المعنى [7].

أو يكون، عنده أيضًا، جعلَ الموت فيها طيا لها، والإحياء نشرا. فهو على هذا مثل :نَشَرتُ الثَوب[8]. وقد رأى الفرّاء من قبل أنّ الحسن قرأ " نَنشرُها " فذهب إلى النشر

(1) ينظر جامع البيان: 4/ 617 وما بعدها.

(2) معاني القرآن وإعرابه :1/ 271.

(3) ينظر الحجة للقراء السبعة : 1/ 472.

(4) ينظر البحر المحيط: 2/ 637.

(5) ينظر الصحاح : 2/ 563. نشر ولسان العرب5 : / 207، 208 (نشر).

(6) الحجة للقراء السبعة: 2 / 379 – 382.

(7) نفسه.

(8) نفسه.

النشر والطّيّ، والوجه أن يقال: أنشر الله الموتى فنشروا إذا حيوا[1].و هي القراءة المختارة لدى ثعلب[2].

وأيد الراغب الأصفهاني (ت 425 هـ) ذلك بقوله: « والحقيقة أن نَشر الله الميتَ مستعار من نَشر الثَّوب[3] ».كما قال واحتج ابن خالويه (ت 370 هـ) لكلتا القراءتين، فمن قرأ بالزاي أراد أن العظام إذا كانت بحالها لم تبلَ، فالزاي أولى بها، لأنها تُرفع، ثم تكسى اللّحم .و الدليل على ذلك قوله تعالى:(وإليه النّشور) [الملك:15]، أي الرجوع بعد البلى .أما من قرأ بالراء فإن الإعادة في البلى وغيره سواء عليه (فَإِنَّما يقُولُ له كُن فيكُون) [البقرة: 117] ودليله قوله تعالى: (**ثم إذا شاء أَنشره)** [عبس: 22] [4].

ورجّح القرطبي (ت 671 هـ) القراءة بالزاي محتجا لذلك بقوله: إذا كان معنى القراءتين هو الإحياء، فإن العظام لا تحيا على الانفراد حّتى ينضم بعضها إلى بعض، والزاي أولى بذلك المعنى إذ هو الانضمام دون الإحياء .فالموصوف بالإحياء هو الرجل دون العظام على انفرادها، ولا يقال: هذا عظم حي، وإّنما المعنى فانظر إلى العظام كيف نرفعها من أماكنها من الأرض إلى جسمِ صاحبها للإحياء [5].

وذهب القاضي أبو السّعود الحنفي (ت 982 هـ) إلى أنّ تفسير كلتا القراءتين " نُنْشِزها " و " نُنْشِرها" بالإحياء ليس المراد منه معناه الحقيقي إّنما المراد هو كيفية رفع العظام بعضها إلى بعض وردّها إلى أماكنها من الجسد وتركيبها تركيباً لائقاً بها،

(1) معاني القرآن: 1/ 173.

(2) بصائر ذوي التمييز: 5/ 54 و57.

(3).المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد الرّاغب الأصفهاني: مكتبة مصطفى نزار الباز، 1/ 636.

(4) ينظر الحجة في القراءات السبع : ص 46.

(5) ينظر الجامع لأحكام القرآن: 3/ 200.

وذلك بدلالة قوله تعالى: "ثمّ نَكْسُوها لحْمًا " أي نستُرها به كما يستر الجسد باللباس، أما قراءة " نَنْشُرها "بفتح النون وضمّ الشّين فقد وافق الفرّاء في كونها ضدّ الطيّ ومعناها: كيف نلبسها .و خلُص إلى أن الجملة إمّا حال من العظام أي وانظر إليها مركبةً مكسوةً لحمًا، أو بدل اشتمال أي وانظر إلى العظام كيفية إنشازها وبسطِ اللّحم عليها[1].

وقرأ النّخعي: بفتح النون، وضمّ الشّين والزّاي، وروي ذلك عن ابن عباس، وقتادة. وروي عن النخعي أيضًا أنه قرأ بفتح الياء وضمّها مع الرّاء والزّاي[2].

قال ابن عطية (ت 542 هـ): « وتعلق عندي أن يكون معنى النشوز رفع العظام بعضها إلى بعض، وإنما النشوز الارتفاع قليلا قليلا فكأنه وقف على نبات العظام الرفات[3]، وخروج ما يوجد منها عند الاختراع، وقال النقاش ننشزها معناه ننبتها، وانظر استعمال العرب تجده على ما ذكرت من ذلك نشز ناب البعير، والنشز من الأرض على التشبيه بذلك، ونشزت المرأة كأنها فارقت الحال التي ينبغي أن تكون عليها وقوله تعالى: (**وإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا**) [المجادلة: 11] أي فارتفعوا شيئا شيئا كنشوز الناب. فبذلك تكون التوسعة فكأن النشوز ضرب من الارتفاع. ويبعد في الاستعمال أن يقال لمن ارتفع في حائط أو غرفة نشز[4]».

ونقل أبو حيّان عن بعضهم: « العظام لا تحيا على الانفراد حتى ينضمّ بعضها إلى بعض، فالزاي أولى بهذا المعنى، إذ هو بمعنى الانضمام دون الإحياء، فالموصوف

(1) تفسير أبي السعود أو إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: للقاضي أبي السعود محمد بن محمد بن مصطفى الحنفي منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ط 1، 1419 هـ - 1999م: 1/ 303.

(2) المحرر الوجيز: 1/ 350، 351. والبحر المحيط: 2/ 637.

(3) ينظر لسان العرب 5 / 418 مادة (ن ش ر).

(4) المحرر الوجيز: 1/ 350، 351.

بالإحياء الرجل دون العظام. ولا يقال: هذا عظم حيّ، فالمعنى: وانظر إلى العظام كيف نرفعها من أماكنها من الأرض إلى جسم صاحبها للإحياء[1]».

ومع سداد هذا التفسير وحصافة هذا الرّأي إلاّ أنّه لا أولوية لقراءة الزّاي، والصّواب هو ما ذهب إليه أبو حيّان الأندلسيّ إذ إنّ القراءة بالرّاء لديه متواترة، ولا تكون قراءة الزايّ أولى[2]، برغم اختيار أبي القاسم الهذلي " نَنْشُزُهَا " بفتح النون وضمّ الشين والزّاي في قراءة الحسن، وأبي حيوة، والزعفراني، والمفضّل، وأبان.

والحق أنّ الاختلاف في المعنى بين هذه القراءات ليس اختلاف تناقض، وإنّما اختلاف تنوع في الفهم أو المعنى، بما يعمق ويثري المراد وضوحا، وانطلاقا من هذا المفهوم ساوى الطبري [3] بين قراءتي "نُنْشِزها " بضم النون الأولى وكسر الشين والزاي المعجمة – وهي ليست القراءة التي اختار الهذلي " نَنْشُزُهَا " بفتح النون وضمّ الشين والزّاي – و"نُنْشِرها " بضم النون الأولى وكسر الشين والراء المهملة، ورأى أنّه لا حجة توجب لإحداهما القضاء بالصواب على الأخرى، لانقياد معناهما فهما وإن اختلفا في اللفظ فمتقاربا المعنى[4].

ويمكن القول أيضا: إنّ قراءة قرآنية قد تبلغ مكانة تتساوى فيها مع قراءة أخرى، فلا توجد حجّة تقضي بصواب إحداهما على الأخرى، وتسوية الطبري بين قراءتي " ننشزها " و" ننشرها " خير دليل.

والملاحظ أنّ التغاير الذي مسّ الآية لا يقتصر على الجانب الصّوتيّ فحسب، بل يتعلّق أيضًا بالمستوى الصّرفي، إذ وردت القراءة الأولى " نَنْشُزُهَا " بفتح النون وضمّ

(1) المحرر الوجيز: 1/ 350، 351. والبحر المحيط: 2/ 637.

(2) المحرر الوجيز: 1/ 350، 351. والبحر المحيط: 2/ 637.

(3) جامع البيان: 4/ 619.

(4) أثر الإبدال الصّوتي وتغيّر الضّبط الحركي في تنوّع المعنى – القراءات القرآنية مثالاً – محمود حمود عراك القريشي، مجلّة كلّية التربية، جامعة واسط، العدد الحادي عشر: ص 67 وما بعدها.

الشين والزّاي، وجاءت الأخرى "نُنْشِزها" بضم النون الأولى وكسر الشين والزاي المعجمة. وهكذا كانت الأولى من باب " فَعَل " " يَفْعُل "، والأخرى من باب " أفعل " " يُفعِل ". وليس – كما أسلفنا – بين الصّيغتين اختلاف تناقض، خاصّة إذا كان " أفعل " بمعنى " فعل "، والزيادة في المبنى في مثل هذه الحال لا تعني بالضّرورة الزيادة في المعنى.

2 – التغاير بين الباء والنّون في " بُشْرًا " و" نُشْرًا ":

قال تعالى: (**وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**) [الأعراف: 57].

جاء في الكامل لأبي القاسم الهذلي: « " بُشْرًا " بضمّ النون وإسكان الشين [نُشْرًا] الحسن، وشامي، والخفاف، وخارجة، وعبد الوارث كلّهم عن أبي عمرو. وبالباء ابن أبي عبلة، وعاصم غير المفضّل، وعصمة، وأبان، والزعفراني، وابن مقسم، وأبو حيوة، غير أنّ أبا حيوة، وابن أبي عبلة، وعصمة بفتح الباء [بَشْرًا]، والزعفراني، وابن مقسم، بضمّ الشين [بُشُرًا]، وهو الاختيار لقوله " مبشرات " وفتح نونه هارون [نَشْرًا]، وكوفي غير ابن سعدان، وعاصم إلاّ المفضّل، وأبان، وعصمة، والباقون بضمّ النون والشّين[نُشُرًا] [(1)]».

و جدير بنا هنا أن نذكّر بأنّ هذه الآية واحدة من تلك المجموعة الكبيرة التي طعن فيها المستشرق " إجنتس جولد تسيهر GOLDZIEHER " في كتابه مذاهب التّفسير الإسلامي، حيث رأى أنّ الخطّ العربي الذي كتبت به المصاحف لخلوّه من النّقط والشّكل كان سببا في اختلاف القراءات وقد أدّى إلى اختلافات نحوية ومعنوية أيضا. ففي رأيه أنّه إذا قرأ قارئ " بُشْرًا " بالباء، وقرأ الآخر " نُشْرًا " بالنون، ففي ذلك

(1) الكامل في القراءات العشر والأربعين الزّائدة عليها: ص 553.

الضلال بن السبهلل أي: الباطل[1].

وهو بهذا كما يرى الأستاذ عبد الفتاح إسماعيل شلبي يهدم النّقل عن الأئمّة وينكر صلة هذه القراءات بالسّند عن رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم. ومعنى ذلك أنّه ينكر القرآن جملة وتفصيلا[2].

وقد ذكر صاحب " المحرر الوجيز " أشكالاً متعدّدة لهذا اللفظ الذي لا تظهر عليه علامات الإعجام في المصحف الإمام، وذلك على النحو الآتي[3]:

1 – قرأ نافع وأبو عمرو: " الرياح " بالجمع، " نُشُرًا " بضم النون والشين.

2 – وقرأ ابن كثير: " الريح " واحدة، " نُشُرًا " بضمهما أيضا.

3 – وقرأ ابن عامر: " الرياح " جمعا، " نُشرًا " بضم النون وسكون الشين، ورويت عن أبي عمرو.

4 – وقرأ حمزة والكسائي: " الريح " واحدة، " نَشْرا " بفتح النون وسكون الشين.

5 – وقرأ عاصم: " الرياح " جماعة، " بُشْرًا " بالباء المضمومة والشين الساكنة، وروي عنه " بُشُرا " بضم الباء والشين وهو جمع بشيرةٍ كنذيرة ونذر[4].

6– وروي عن عاصم: بَشرًا بفتح الباء وسكون الشين وهو مصدر بشر المخفف[5].

---

(1) مذاهب التفسير الإسلامي: إجنتس جولد تسهر، ترجمة عبد الحليم النجار، دار إقرأ، بيروت، لبنان، ط 2، 1403: ص 4 – 7. (دار الكتب الحديثة). وينظر أيضًا مقدمة المصاحف لآرثر جفري : ص 5 – 12.

(2) انظر: رسم المصحف العثماني وأوهام المستشرقين في قراءات القرآن الكريم، دوافعها ودفعها: عبد الفتّاح إسماعيل شلبي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط 4، 1419 هـ – 1999 م: ص 29 وما بعدها.

(3) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: 2/ 411 – 413.

(4) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، نسخة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية: 1/ 255.

(5) في مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع: ص 44 " بَشْرًا " بالباء وإسكان الشين، عصمة عن

ومجموع ما عدّه صاحب " البحر المحيط " للكلمة السّابقة ثماني قراءات، أربع في النون وأربع في الباء[1].

وقد سبق ابن جنيّ (ت 392 هـ) من قبل إلى مثل هذا، إذ قال: « أما " نُشُرًا " فتخفيف " نُشُرًا " في قراءة العامّة، والتثقيل أفصح، لأنّه لغة الحجازيّين، والتّخفيف في النّحو ذلك لتميم. وأمّا " بُشُرًا " فجمع بشير لأنّ الرّيح تبشّر بالسّحاب. وأمّا بَشْرًا فمصدر في موضع الحال، كقوله تعالى: (... **ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا** ...)[2]».

ولأشكال هذه الكلمة عدّة معان ودلالات، منها:

" نُشُرًا " بضم النون والشين يحتمل أن يكون جمع ناشر على النسب، أي ذات نشر من الطيّ أو نشور من الحياة.

ويحتمل " نُشُرًا " أن يكون جمع نشور بفتح النون وضمّ الشين كرسول ورسل وصبور وصبر وشكور وشكر.

و يحتمل " نشرًا " أن يكون كالمفعول بمعنى منشور. كركوب بمعنى مركوب.

و يحتمل أن يكون من أبنية اسم الفاعل لأنها تنشر الحساب.

و أمّا " بُشُرًا " بضم الباء والشين فجمع بشير كنذير ونذر.

و " بُشْرا " بسكون الشين مخفف منه.

و " بَشْرًا " بفتح الباء وسكون الشين مصدر.

و بُشرًى مصدر أيضا في موضع الحال[3].

وفي الحقّ أنّ اختلاف القراءات هو اختلاف تنوّع وتغاير لا اختلاف تعارض

عاصم. وفي الحجة في القراءات السبع: ص 157 قراءات أخرى غير هذه.

(1) البحر المحيط: 5 / 76، 77.

(2) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، نسخة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية: 1/ 255.

(3) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: 2/ 413.

وتضارب، كما يظنّ المبطلون. وأنّ الأمرَ في القراءات ضوابطُه دقيقةٌ في الأثر والرّواية.

و الذي حصل في هذه القراءة (بُشْرًا – نشرا) أنّه تمّت المغايرة بين الباء والنون[1]، والباء صوت شفوي شديد مجهور منفتح ومخرجه من الشفتين، والباء يحدث النفس معها انفجار أو ما يشبه الانفجار، وهذا النوع من الأصوات الانفجارية هو ما اصطلح القدماء على تسميته بالصّوت الشديد ويسميه المحدثون انفجاريا[2].

أمّا النون فمخرجه عند سيبويه من طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا، وهو صوت صامت أسناني لثوي متوسط بين الشدّة والرّخاوة، مجهور أنفي منفتح[3]، وهو أيضًا من الأصوات المائعة كما سمّاها بذلك المحدثون من علماء الأصوات [4].

والنون كذلك صوت شديد الحساسية، يتأثر بمجاوره، وينتقل غالبا بمخرجه إلى مخرج الصّوت التالي له في حالات معروفة لدى علماء التجويد[5].

ولا تقارب بين الباء والنّون من حيث المخرج: الباء مخرجه من الشفتين، والنون: من طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا. والصّفات هي: الجهر / الجهر، وبين الشدّة / والشدّة الرّخاوة.

---

(1) الظواهر الصّوتية والصّرفية والنّحوية في قراءة الجحدري: عادل هادي حمادي العبيدي، مكتبة الثقافة الدينية، ط 1، 2005: ص 29 – 83.

(2) ينظر: الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس: ص 47.

(3) ينظر: الكتاب 4/ 433، 434، والأصوات اللغوية: إبراهيم أنيس: ص 58.

(4) ينظر: الأصوات اللغوية: ص 26، وأثر القراءات في الأصوات والنّحو العربي– أبو عمرو بن العلاء –: عبد الصّبور شاهين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 1، 1407 هـ – 1987م: ص109– 126.

(5) ينظر: علم الأصوات لبرتيل مالمبرج: ترجمة عبد الصّبور شاهين، مكتبة الشباب، القاهرة، دط، 1988: ص 109– 126.

وبذلك لا يمكن أن يوجد تفسير صوتي أو مقاربة من هذا المستوى لتعليل العلاقة بين القراءتين في الموضع المذكور من القرآن الكريم. والتغاير الصوتي على مستوى الصامت غالبًا ما يصاحبه تنوع في دلالة المفردة، ولكن بعيدًا عن التعارض والتّناقض.

3 – التغاير بين التّاء والبّاء في " تالله " و" بالله ":

قال جلّ وعزّ: (**وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ**) [الأنبياء: 57].

قرأ الجمهور: " وتَٱللَّهِ " بالتاء. وقرأ معاذ بن جبل وأحمد بن حنبل بالله بالباء بواحدة من أسفل[1]، وهو الاختيار عند صاحب " الكامل في القراءات العشر والأربعين الزّائدة عليها " لأنّه أصل حروف القسم[2].

والواو، في نظر سيبويه (ت 180هـ)، تكون للقسم بمنزلة الباء، وذلك قولك: والله لا أفعل. والتاء التي في القسم بمنزلتها، وهي: تالله لا أفعل[3].

يقول ابن هشام: « [التاء] حرف جرّ معناه القسم، وتختصّ بالتعجب، وباسم الله تعالى، وربّما قالوا " تَربِّي "، و" تَرَبِّ الكعبة "، و" تالرّحمنِ [4]".

و هي فرع الواو في القسم، والواو فرع الباء، والتاء فرع الفرع، ومن ثمّ اقتصر بها على ما لم يقتصر بالواو عليه، كما اقتصر بالواو على ما لم يقتصر بالباء عليه[5]. قال

(1) البحر المحيط: 7/ 444. وفي إعراب القراءات الشّواذ: 2/ 109 يقرأ بالباء، وهي أصل حروف القسم.

(2) الكامل في القراءات العشر والأربعين الزّائدة عليها: ص 601.

(3) الكتاب 4/ 217 مكتبة الخانجي، القاهرة، ودار الرفاعي بالرياض، ط 2، 1402 هـ – 1982م.

(4) الجنى الدّاني في حروف المعاني: ص 57، وينظر كذلك: بصائر ذوي التمييز: 2/ 283، 284، وعمدة الحفاظ: 1/ 253.

(5) عمدة الحفاظ: 1/ 253.

الزّمخشري في (**وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ**) الباء أصل حروف القسم[1]، والواو بدل منها، والتاء بدل من الواو، وفيها زيادة معنى التعجّب، كأنّه تعجّب من تسهيل الكيد على يده وتأتّيه مع عتوّ نمروذ وقهره[2]».

وقال ابن يعيش في شرحه لمفصّل الزّمخشريّ: « ... تقول: " بالله لأفعلنّ "، و" بك لأذهبنّ " فتدخل على المضمر كما تدخل على الظاهر، ولا تقول مثلَ ذلك في غيرها. لا يجوز " وَكَ لأفعلنّ" ولا " تَكَ "، كما قلت " بكَ لأفعلنّ "[3]».

إنّ قول الزّمخشري: الباء هي الأصل إنما كانت أصلاً لأنها أوسع حروف القسم إذ تدخل على الظاهر والمضمر ويصرح بفعل القسم معها وتحذف، وأمّا أنّ التاء بدل من واو القسم الذي أبدل من باء القسم فشيء قاله كثير من النحاة[4]. وأما قوله: إن التاء فيها زيادة معنى وهو التعجب فنصوص النحاة أن التاء يجوز أن يكون معها تعجب، ويجوز أن لا يكون، واللام هي التي يلزمها التعجب في القسم[5].

وكلّ ما استجمعناه من كتب النّحو واللّغة في هذا الموضوع لا يعدو أن يصبّ في

(1) الجنى الدّاني في حروف المعاني: ص 45.

(2) مغني اللبيب: ابن هشام، تحقيق حنا الفاخوري، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1411 هـ – 1991م: 1/ 195، والكشاف: 3/ 120.

(3) شرح المفصّل للزمخشري: موفق الدين أبو البقاء يعيش بن عليّ بن يعيش: تقديم إميل يعقوب بديع، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1422 هـ – 2001م: 5/ 257.

(4) الجنى الدّاني في حروف المعاني: الحسن بن قاسم المرادي، تحقيق فخر الدّين قباوة ونديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1413 هـ – 1992م : ص 57 " إنّ التّاء بدل من الواو، والواو بدل من الباء، استضعفه بعضهم، قال: ولا يقوم دليل على صحّته".

(5) البحر المحيط: 7/ 444. وحريّ بنا هنا من أن ننبّه إلى أنّ عليّ بن محمّد النحوي الهَرَوِيّ لم يذكر يذكر في كتابه " الأزهية في علم الحروف " فيما ذكره من دخول الحروف بعضها مكان بعض، أنّ باء القسم تنوب عن التّاء أو العكس.

المستوىٰ الثالث من مستويات اللّغة ألا وهو المستوىٰ النحوي.

أمّا من جانب التفسير الصّوتي لهذه الظّاهرة فلنا أن نقول: هل لدخول حروف المعاني، بعضها مكان بعض، كأنّ تنوب باء القسم عن التّاء أو العكس، تفسيرٌ صوتيٌّ؟ إنّنا في الحقّ لم نعثر علىٰ أيّ شيء من ذلك فيما بين أيدينا من مصادر صوتية قديمة كانت أو حديثة، باستثناء الدّراسات الصّوتية المتعلّقة بأحد فروع علم الأصوات العامّ (الفوناتيكس) ألا وهو علم الأصوات الفيسيولوجي أو العضوي، الذي يعمل علىٰ الكشف علىٰ مصادر صناعة الأصوات وصفاتها، وهو ما توصّل إليه أو إلىٰ استنتاجه بعض العلماء العرب المحدثين كأن يقولوا مثلاً: صوت الباء العربية صامت شفوي، مزدوج (ثنائي)، وانفجاري (شديد)، ومجهور ومرقق[1].

أمّا صوت التاء العربية فهو أسناني لثوي، ووهي أيضًا صوت شديد نظيره الرّخو السّين أو الثاء، وانفجاري، و مهموس ومرقّق، نظير الطاء الحديثة، ولم يكن للتاء قديما نظير مفخم (مطبق)[2].

وما يستخلص من هذا العرض هو اختلاف صوتي " الباء " و" التّاء " في المخرج والصّفة باستثناء الشدّة والانفجارية.

بقي لنا هنا أن نكرّر ما ذهب إليه أبو القاسم الهذلي من أنّ الباء هي أصل حروف القسم ولذلك اختارها وقدّم القراءة بها علىٰ قراءة التّاء (**وَبِاللهِّ لَأَكِيدَنَّ**) بدلاً من (**وَتَاللهِّ لَأَكِيدَنَّ**)[3].

4 – التغاير بين العين والغين وبين الثاء والنّون في " فاستغاثه " و" استعانه ":

قال الله تعالىٰ: (**وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا**

(1) الأصوات اللغوية: إبراهيم أنيس: ص 47، وعلم الأصوات: برتيل مالمبرج، ترجمة عبد الصبور شاهين: ص 109- 126.

(2) الأصوات اللغوية: إبراهيم أنيس: ص 53.

(3) الكامل في القراءات العشر والأربعين الزّائدة عليها: ص 601.

مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ) [القصص: 15]

وقرأ الجمهور: " فاستغاثه "، أي طلب غوثه ونصره على القبطي. وقرأ سيبويه، وابن مقسم، والزعفراني: بالعين المهملة والنون بدل الثاء، أي طلب منه الإعانة على القبطي[1].

قال أبو القاسم يوسف بن عليّ بن جبارة: « والاختيار قراءة ابن مقسم، لأن الإعانة أولى في هذا الباب[2]».

وصرّح ابن عطية أنّ الأخفش ذكرها، وهي عنده تصحيف لا قراءة[3]. ورأى أبو حيّان الأندلسيّ[4] أنّها ليست تصحيفاً، لأنّه نقلها ابن خالويه عن سيبويه[5]. وكذلك السّمين الحلبي (ت 670 هـ) الذي عدَّ نسبةُ التصحيفِ إلى هؤلاء غيرُ محمودةٍ[6].

وقد عيب على الهُذَليِّ هذا الاختيار. قال السّمين الحلبي: « قال ابن جبارة صاحب " الكامل ": الاختيارُ قراءةُ ابن مقسم، لأنَّ الإِعانة أَوْلَى في هذا البابِ. قلت: ... كما أنّ تَعالِيَ الهُذَليِّ في اختيارِ الشّاذِّ غيرُ محمودٍ[7].

---

(1) البحر المحيط: 8/ 292.

(2) الكامل في القراءات العشر والأربعين الزّائدة عليها: ص 613، 614. وقد ذكرها أبوحيّان عنه في البحر المحيط كذلك: 8/ 292، والدرّ المصون: 5/ 335.

(3) وفي المحرّر: 4/ 280 " وذكر الأخفش سعيد " استعانة " بالعين غير معجمة وبالنون وهي تصحيف لا قراءة ". لم أعثر عليها في معاني القرآن: 2/ 652 عند تفسير سورة القصص.

(4) البحر المحيط: 8/ 292.

(5) لم أعثر عليه في الكتاب لسيبويه، وقد ورد في " مختصر في شواذ القرآن ": ص 112.

(6) الدرّ المصون: 5/ 335.

(7) الدرّ المصون: المصدر نفسه

والشّاذّ في عرف السّمين الحلبي هو افتقاده لأحد شروط صحّة القراءة، منها شرط السّند، والرّسم، وموافقة اللّغة. والقراءة التي اختارها الهذليّ صحيحة من جهة اللّغة، آحاد من جهة السّند، ولا تعارض يظهر من مقابلة لفظي: " استعانه " و" استغاثه "، خاصّة في غياب نقط الإعجام.

أمّا بالنّسبة للتفسير الصّوتي، فلا نملك إلاّ ان نقول:

العين صوت حلقي احتكاكي رخو مجهور مرقّق [1]، وهو النّظير لصوت الحاء. وصوت العين عند قدماء العربية من الأصوات المتوسّطة بين الشدّة والرّخاوة لقلّة ما يسمع لها من احتكاك أثناء عملية الصّنع، ولعلّ السرّ في هذا هو ضعف ما يسمع لها من حفيف إذا قورنت بالغين. هذا الضّعف يقرّبها من الأصوات: الرّاء واللاّم والنّون والميم. وهذه الأصوات الأربعة جمعوها في قولهم: " لم نرع "، أو " لن عمر " [2]. والعين صوت مجهور، ولكن ضيق مجراه عند مخرجه أقل من ضيقه مع الغين، مما جعل العين أقل رخاوة من الغين[3]. كما أنّ الغين تخرج من مخرج الخاء [4]، وهو آخر المخرج المخرج الثالث من الحلق ممّا يلي الفم، وهي صوت رخو مجهور مرقّق منفتح مستعل، وقد يتقدم بمخرجه قليلا إلى الطبق إذا وليته كسرة مثل: غبت[5].

ومخرج العين من وسط الحلق، أما الغين فإن مخرجها من أدناه، فهما متجاوران في المخرج غير أنّهما مع هذا التجاور، لم يقع فيهما من الإبدال في كلام العرب، فقد ذكر

(1) علم الأصوات: كمال بشر، دار غريب، 1970: ص 303 - 308 و353.

(2) راجع هذه المصطلحات في " الرّعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة ": ص 36 – 38.
وانظر كذلك متن الشاطبية " حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع": ص 92، وفيها:
وما بين رَخْوٍ والشَّدِيدَةِ (عَمْرُ نَلْ).

(3) الأصوات اللّغوية: ص 75.

(4) انظر: الرّعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التّلاوة: ص 67.

(5) علم الأصوات لبرتيل مالمبرج: ترجمة عبد الصبور شاهين، ص: 109- 126.

ابن جنّي) ت 392 هـ (أنّ العرب تقول: لَعنّي ولَغَنّي في " لَعل " وحكَم أن يكون الغين فيه بدلا من العين، لسعة العين في الكلام، وكثرتها في هذا المعنى، وقلّة الغين[1].

وذهب الدكتور حسام النعيمي إلى أن عدم تعليل الإبدال هنا راجع لوضوحه وذلك لتجاور المخرج، ويستَشَف من كلامه في هذا المجال أن يكون الإبدال قد وقع لعيب نطقي أو لخطأ في السمع، مستدلا على ذلك بقول الأطفال بعداد في بغداد [2].

وقد ورد إبدال العين بالغين في لفظة " غِشاوٌة " من قوله تعالى :(**خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**) [البقرة: 7]. إذ قُرئت "عِشاوٌة " بالعين غير المعجمة بناء ومعنًى من العشا وهو سوء البصر [3].

والبون واسع بين صوتي الثاء والنّون كما نعلم، فالثاء والنون من أفراد المجموعة الكبرى من الأصوات المتقاربة المخارج[4]، ووجه الشبه بين كلّ هذه الأصوات هو أن مخارجها تكاد تنحصر بين أوّل اللسان (بما فيه طرفه) والثنايا العليا (بما فيها أصولها). على أنه رغم تقارب مخارجها، تفرق بينها صفات صوتية متباينة تحتّم تقسيمها إلى مجاميع فرعية يشترك أفرادها في المخرج، أي يتّحد مخرج كلّ من أفراد تلك المجاميع الفرعية.

إلاّ أنّ النون صوت مجهور متوسط بين الشدة والرخاوة، وهي من أوضح الأصوات الساكنة في السّمع، ولهذا أشبهت من هذه الناحية، هي وأخواتها (لن عمر) أصوات اللين. فهي جميعًا ليست شديدة أي يسمع معها انفجار، وليست رخوة فلا يكاد يسمع لها ذلك الحفيف الذي تتميز به الأصوات الرخوة. وبمصطلح القدماء هي من

(1) سرّ صناعة الإعراب: 1/ 255. ينظر: الدّراسات اللّهجية والصّوتية عند ابن جنّيّ: ص 139.

(2) ينظر: الدّراسات اللّهجية والصّوتية عند ابن جنّيّ: ص 139.

(3) مختصر ابن خالويه: ص 2، و الكشاف: 1/ 126، و البحر المحيط: 1/ 49.

(4) الأصوات اللّغوية: إبراهيم أنيس: ص 49.

الأصوات المتوسطة بين الشدّة والرّخاوة[1].

أمّا صوت الثاء العربية: فهي صوت صامت بين أسناني واحتكاكي (رخو)، ومهموس، ومرقّق[2].

وهذا التّوصيف لهذه الأصوات الأربعة (العين والغين والنون والثاء) في الواقع لا يقدّم تفسيرًا صوتيًا حقيقيًا للعلاقة بين قراءتي" استعانه " و" استغاثه " في سورة [القصص: 15].

5 – التغاير بين الحّاء والخّاء في " سبْحًا " و" سبْخًا ":

قال الله تبارك وتعالى: (**إِنَّ لَكَ فِي اَلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا**) [المزمل: 7]

وقرأ الجمهور: (سَبْحاً): أي تصرّفاً وتقلباً في المهمات، كما يتردّد السابح في الماء. وقيل: سبحاً سبحة، أي نافلة[3].

وقرأ يحيى بن يعمر وعكرمة[4] وابن أبي عبلة وأبو وائل[5]: (سبْخًا) بالخاء المنقوطة. ومعناه: راحة وتخفيفًا للأبدان[6]، وخفة من التكاليف. والتسبيخ: التخفيف والسّعةً، والسّعةً، وهو استعارة من سبخ الصّوف إذا نفشه ونشر أجزاءه، فمعناه: انتشار الهمّة وتفرّق الخاطر بالشّواغل[7].و يقال: اللهمّ سبّخ عنه الحمّى، أي خفّف[8].

(1) الأصوات اللّغوية: المرجع نفسه ص58.

(2) الأصوات اللّغوية: المرجع نفسه ص 50.

(3) البحر المحيط: 10/ 315.

(4) مختصر في شواذ القرآن: ص 164، والمحرر الوجيز: 5/ 388.

(5) الجامع لأحكام القرآن: 19/ 45.

(6) كتاب الغريبين في القرآن والحديث: 3/ 84، 85، وتفسير المشكل من غريب القرآن على الإيجاز الإيجاز والاختصار: مكي بن أبي طالب: ص 361.

(7) البحر المحيط: 10/ 315.

(8) غريب القرآن المسمّى بنزهة القلوب: السّجستاني ص 113، وبصائر ذوي التمييز: 3/ 179.

وتحتمل هذه القراءة معاني عديدة، منها: الفراغ والسّعة لنومك وتصرّفك في حوائجك. أو إن فات حزب الليل بنوم أو عذر فليخلف بالنّهار، فإنّ فيه سبحاً طويلاً أي متصرّفًا فيما تريد، وسرعة الذهاب في العمل[1]. أو أن تنام بالنّهار لتستعين به على قيام اللّيل.

وقراءة ابن أبي عبلة هذه التي بالخاء المعجمة هي اختيار أبي القاسم الهذلي لقوله صلّى الله عليه وسلّم لعائشة رضي الله عنها [في السّارق الذي سرقها فكانت تدعو عليه [2]]: « (لا تسبخي عنه الحمّى بدعائك عليه[3])، الباقون بالحاء»[4]. ومعناه لا تخففي تخففي عنه.

وللباحث في الجوانب الصّوتية للقراءتين أن يقف عند صفات صوتي " الحاء والخاء " ملتمسًا ذلك التقارب الذي يسوّغ – من دون شكّ – ترادف لفظي " سبحًا وسبخًا " وإن لم تصرّح به معاجم اللغة وكتب شروح ألفاظ القرآن الكثيرة كـ: غريب القرآن للسّجستاني، وتفسير المشكل من غريب القرآن على الإيجاز والاختصار لمكّي بن أبي طالب (ت 437 هـ)، والمفردات في غريب القرآن للأصفهاني (ت 502 هـ)، وبصائر ذوي التمييز للفيروز أبادي (ت 817 هـ)، وعمدة الحفّاظ للسّمين الحلبي (ت 756 هـ).

فالحاء صوت حلقي احتكاكي رخو مهموس مرقق. وهو المناظر لصوت العين

(1) المفردات في غريب القرآن للأصفهاني: 1/ 292.

(2) المحرر الوجيز: 5/ 388، والبحر المحيط: 10/ 315.

(3) ورد الحديث في كتاب: سنن أبي داود: سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، تحقيق تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، لبنان، دت: 1/ 470 تحت رقم: 1497، وكذلك: في 2/ 695 تحت رقم: 4909.

(4) الكامل في القراءات العشر والأربعين الزّائدة عليها: ص 652.

المجهور[1].

والخاء صوت من أوّل المخرج الثالث من الحلق[2]، وهو ممّا يلي الفم، وهو حرف طبقي ورخو احتكاكي مهموس مستعل مرقّق منفتح[3].

يلاحظ من هذا العرض السّريع لصفات الحاء والخاء، أنّ هذين الحرفين متقاربان في الأغلب الأعمّ، ولا يختلفان إلاّ في النزر القليل، ولعلّ هذا كان له دور في جمع لفظي " سبحًا " و" سبخًا " في معاني التصرّف والتقلب في المهمّات، وفي الرّاحة والتّخفيف وغيرها، مع أنّ التغاير الصّوتي على مستوى الصّامت، في السّواد الأعظم، يصاحبه تنّوع في دلالة المفردة. ولا يعاب على الهذلي اختياره بذلك قراءة ابن أبي عبلة مع أنّها ليست سبعية، ولا عشرية، ولا حتى من قراءات الأربعة الزّائدين على العشرة: الحسن البصري واليزيدي والأعمش وابن محيصن، يقول أبو القاسم الهذليّ: « بالخاء ابن أبي عبلة، وهو الاختيار لقوله صلّى الله عليه وسلّم لعائشة رضي الله عنها: لا تسبخي عنه الحمّى بدعائك عليه، الباقون بالحاء[4]».

(1) النشر في القراءات العشر: 1/ 199، والرّعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة: ص 62 – 64. والكتاب لسيبويه: 4/ 433، وارتشاف الضرب من لسان العرب: أبو حيان الأندلسي، تحقيق رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي، ط 1، 1998: ص 7، وشرح شافية ابن الحاجب: رضي الدين الأستراباذي، تحقيق محمّد نور الحسن، محمّد الزفزاف، محمّد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، طبعة 1402 هـ – 1982م: 3/ 251، والأصوات اللّغوية: إبراهيم أنيس: ص 76، والأصوات اللّغوية: عبد القادر عبد الجليل: ص 182.

(2) انظر: الرّعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التّلاوة: ص 66. والأصوات اللّغوية: إبراهيم أنيس: ص 75.

(3) الأصوات اللّغوية: إبراهيم أنيس: ص 75، وعلم الأصوات علم الأصوات: حسام البهنساوي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط 1، 1425 هـ – 2004م: ص 78.

(4) الكامل في القراءات العشر والأربعين الزّائدة عليها: ص 652.

و هذه القراءة قد تضيف معنىً جديدًا له علاقة وطيدة في التعبير عن المقام وبيان الحال. وهي من جهة أخرىٰ موافقة للمصحف الإمام، ولا مطعن في لغتها وعربيتها، إلاّ أن الجماعة الذين رويت عنهم ليسوا في مستوىٰ القرّاء المشهورين سندًا ورواية، وفقًا للشّروط المحدّدة منذ مسبّع القراءات السّبع الأوّل أبي بكر بن مجاهد (ت 324 هـ).

الخاتمة:

– نقْـلُ الهذلـي عن الخزاعي القراءة المنسوبة إلىٰ الإمام أبي حنيفة، كما جاء في نصّ ابن الجزريّ: « وكالقراءة المنسوبة إلىٰ الإمام أبي حنيفة رحمه الله التي جمعها ... الخزاعي[1] نقلها عنه ... الهذلي وغيره فإنّها لا أصل لها، ... وأنّ الكتاب موضوع لا أصل له... [2]». ليس لها إلىٰ الاستدلال بأنّ الهذلي صاحب أغاليط كثيرة من سبيل. فمجال القراءات واسع، ولا يحقّ لجامعها أن يتخيّر أو يقدّم قراءة علىٰ أخرىٰ، بل موقعه ومهمّته يستدعيان الأمانة العلمية في النّقل حرفًا بحرف، وحركة بحركة، بغضّ النّظر عن القارئ ورتبته.

– هذا من جهة، ومن جهة ثانية فإنّ اتّهام الذّهبي للهذلي بأنّ له أغاليطَ كثيرة، له ما يفنّده من مسوغات ، ولعلّ نصَّ ابن الجزري الآتي واحدٌ منها، يقول صاحب النّشر في القراءات العشر:

« وله أغاليط كثيرة في أسانيد القراءات، وحشدَ في كتابه أشياء منكرة لا يحلّ القراءة بها، ولا يصحّ لها إسناد، إمّا لجهالة النّاقل أو لضعفه، قلت: قد قرأ بالكامل إمام زمانه حفظًا ونقلاً أبو العلاء الهمذاني[3] علىٰ أبي العزّ[1] ما زال يقرئ به إلىٰ آخر وقت وآخر

(1) هو أبو الفضل محمّد بن جعفر صاحب كتاب " المنتهىٰ في القراءات العشر "، انظر: النشر في القراءات العشر ": 1/ 93.

(2) النشر في القراءات العشر: 1/ 16.

(3) هو العطّار (ت 569 هـ) صاحب " غاية الاختصار "، انظر: النشر في القراءات العشر: 1/ 87.

من رواه تلاوة فيما نعلم ابن مؤمن الواسطي[2]، قرأته أنا على الشّيخين إبراهيم بن أحمد الإسكندراني ومحمد بن النحاس بإجازة الأوّل وسماع الثاني لبعضها بسندها[3]».

و لا يَرُدُّ عليك مثل خبير، فابن الجزري محقّق زمانه وعصره، لا يضاهيه في مجال القراءات أحد من العالمين، وتكفي هنا شهادة على قيمة كتاب أبي القاسم الهذلي، إن لم نرضَ بابن الجزري، قراءة أئمّة القراءات لكتابه وهم: أبو العلاء الهمذاني، وأبو العزّ القلانسي[1]، ابن عبد المؤمن بن وجيه الواسطي.

بل إنّ ابن الجزري نفسه جعل " كامل " الهذلي من أهمّ مصادره في القراءات، فقد قرأه على شيوخ كثر ورد ذكرهم في مقدّمة كتابه " النشر في القراءات العشر"[4]، ولم يكتف بهذا بل كان يستشهد ببعض قراءاته من حين لآخر.

و من جهة ثالثة كانت اختيارات الهذلي قائمة على أسس معقولة، وبعيدة عن كلّ الشّوائب، وكلّ ما من شأنه أن يخلّ بأركان القراءة الصّحيحة وشروطها، أكتفي هنا ببعض النّماذج، وهي ليست على سبيل الحصر: (لا تخرج اختيارات الهذلي عن إحدى هذه العلل)

كان الكثير من اختيارات الهذلي للقراءات لموافقة المصحف، ويبرز ذلك الحرص – أي رسم المصحف– ويتجلّى في مواضع من " الكامل " منها قوله: « **" لا نكلِّفُ نفْسًا**

(1) هو القلانسي (ت 521 هـ) صاحب " الإرشاد " و" الكفاية "، انظر: النشر في القراءات العشر: 1/ 86، 87.

(2) لعلّه أبو محمّد عبد الله بن عبد المؤمن بن الوجيه الواسطي (740 هـ) صاحب كتاب " الكنز " ذكره ابن الجزري في " النشر في القراءات العشر ": 1/ 94.

(3) غاية النهاية في طبقات القراء: 2/ 348.

(4) النشر في القراءات العشر: 1/ 91 – 93.

" بالنّون ونضب النّفس الشّافعي، وجنيد بن عمر، والعدواني عن ابن كثير، ولولا خلاف المصحف لاخترناه ليكون الفعل لله، لكنّ المصحف متّبع، والباقون " لا تُكَلَّفُ " بالتّاء، " نفسٌ " رفعٌ، وهو الاختيار لموافقة المصحف[1]».

ومنها قوله: « (**ويمدّهم**) بضمّ الياء وكسر الميم ابن محيصن، والأعرج، وأبو حذيفة عن ابن كثير، الباقون بفتح الياء وضمّ الميم، وهو الاختيار لموافقة المصحف، ولأنّ معناه يملي لهم ويجزيهم[2]».

ويقول الهذلي أيضًا عند قراءة " **إنَّ البقَرَ تَشَابَه عَلَيْنَا** ": « " البقر والباقر" لموافقة المصحف والقرّاء [3]».

و كان اختياره موافقةً للجماعة أيضًا، وقد ورد مرّات عديدة في كتابه، يقول مثلاً: « الباقون " **يَخْطَفُ** " من خطف يخطف غير الأصمعي عن نافع اختلس الخاء مع تشديد الطّاء، وهو الاختيار لاتّفاق الجماعة، ولقوله: " خَطِفَ الخَطْفَةَ "[4]».

ويقول أيضًا في هذا الباب: « " **اشتروا الضّلالة** " باختلاس الضمّة، والباقون بإشباع الواو المضمومة، وهو الاختيار موافقة للجماعة[5]».

و لا يقتصر الاختيار عند الهذلي على ما سبق ذكره من رسم وإجماع قرّاء أو جمهور، بل تعدّاه إلى المعنى، يقول مثلاً: « " **صبغةَ اللهِ** " رفع ابن أبي عبلة، وهو الاختيار على

(1) الكامل في القراءات العشر والأربعين الزّائدة عليها: ص 505.

(2) المصدر نفسه : ص 81.

(3)المصدر نفسه: ص 486.

(4) الكامل في القراءات العشر والأربعين الزّائدة عليها: 481.

(5)المصدر نفسه: 481.

معنى: هذه صبغة الله، أو ملتنا صبغة الله، الباقون نصب [1]».

ويقول: « " **بَعُوضَةً** " بالرّفع الأصمعي عن نافع وابن ثعلب، وهو الاختيار، لأنّ ما معنى الذي " بعوضة " خبره[2]».

وعند قوله تعالى: " **فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ** "، يعلّل الهذلي هذه المرّة للتغاير بين الصّوامت لا الصّوائت متّخذًا المعنى وسيلة للإقناع: « بالعين والنون ابن مقسم، والزعفراني، والباقون بالغين والثاء، والاختيار ما عليه ابن مقسم، لأنّه الإعانة في هذا الباب[3]».

وينبني ما قاله في هذا الموضع أيضًا على المعنى، إذ يصرّح: « " **نَنْشُزُهَا** " بفتح النون وضمّ الشين والزّاي الحسن، وأبو حيوة، والزعفراني، والمفضّل، وأبان، وهو الاختيار لقوله: " ثمّ نكسوها لحمًا "[4]».

أضف إلى ما مرّ من رسم وإجماع ومعنى، إسهابه في عرض التعليل النّحوي والصّرفي: يقول عند استعراض آيات سورة الأنعام: « " **فالق الإصباح وجعل الليل** ": بالنصب فيهما وهو الاختيار على المدح والنداء المضاف[5]».

يقول في موضع آخر: « " **لاذهب بسمعهم** " بالألف ابن أبي عبلة والاختيار ما عليه الجماعة " لذهب " لأنّه أفصح[6]».

---

(1)المصدر نفسه: ص 493.

(2)المصدر نفسه: ص 482.

(3)المصدر نفسه: ص 613، 614.

(4)المصدر نفسه: ص 509.

(5)المصدر نفسه: ص 381 و544.

(6)المصدر نفسه: 481.

وقد صرّح أيضا: « " **وَقُودها** " بضمّ الواو الحسن ، وقتادة، وطلحة، والهمذاني، وأبو حنيفة في أحد الرّوايتين، زاد طلحة والهمذاني في جميع القرآن إلاّ " **ذات الوَقود** "، الباقون " **وَقودها** " بفتح الواو، وهو الاختيار لقوله: " **والحجارة** " وهو ما يوقد به والوقود المصدر[1]».

ولا غرابة في أن نجد الهذلي في كتابه " الكامل " ونتمثّله فقيهًا متمكّنًا من ناصية اللغة بنحوها وصرفها ودلالاتها، ويكفيه ما شهد له به المترجمون قديمًا: « وكان مقدّمًا في النحو والصّرف عارفًا بالعلل، وكان القشيري يراجعه في مسائل النّحو، ويستفيد منه[2]».

و لا نملك في الأخير إلاّ أن نعيد ما يقال ويتكرّر دومًا عندما يتعلّق الأمر بمجال القراءات والإقراء والدّراسات اللغوية المتعلّقة بها، إذ إنّ الاختلاف وتنوّعه– في مجال القراءات – لم يتطرّق إليه تضادّ ولا تناقض ولا تخالف، بل كلّه يصدّق بعضه بعضًا، ويبيّن بعضه بعضًا، ويشهد بعضه لبعض على نمط واحد وأسلوب واحد، والتغاير الصّوتي على مستوى الصّامت أو الصّائت يصاحبه تنّوع في دلالة المفردة، وما ذاك إلاّ آية بالغة، وبرهان قاطع على صدق ما جاء به نبيّنا الصّادق الأمين، صلّى الله عليه وسلّم، تأكيدًا لحديثه المشهور والذي قاله سنة تسع للهجرة: « أنزل القرآن على سبعة أحرف[3]».

---

(1)المصدر نفسه: 481.

(2) معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار: ص 242.

(3) في صحيح البخاري باب بعنوان " أنزل القرآن على سبعة أحرف "، انظر إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني، دار الكتاب العربي، بيروت ، لبنان، د ط، 1323 هـ: 7 / 450. وقد جعل الترمذي أيضا بابا باسم " أنزل القرآن على سبعة

وبتعبير آخر: قد يؤدي الإبدال الصّوتي الحاصل في القراءات القرآنية إلى اختلاف في المعنى، مع ملاحظة أنّ ذلك الاختلاف ليس اختلاف تناقض، بل هو تنّوع في الفهم، وإثراء للمعنى بما يعمّق المراد ويزيده وضوحًا، ومن شانه أن يضيف معاني جديدة لها علاقة وطيدة في التعبير عن المقام وبيان الحال.

وقد تبلغ القراءة – كما أسلفنا – مكانة تتساوى فيها مع قراءة أخرى، فلا توجد حجّة تقضي بصواب إحداهما على الأخرى، وتسوية الطبري بين قراءتي " **نُنْشِزِها** " و"**نُنْشِرِها** " برهان على ذلك. وقد يقع ذلك بين المشهورة والشّاذة.

أحرف "، انظر سنن الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرين، طبعة دار إحياء التراث العربي، دط، د ت: 5 / 193.